

النهار

مركز الحوار السوري  
Syrian Dialogue Center

## التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا (1): الأدوات الدينية

تقرير وصفي تحليلي ضمن سلسلة بعنوان

"التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا"

الأحد 17 رمضان 1441هـ - 10 مايو/أيار 2020 م

## مركز الحوار السوري

مؤسسة أهلية سورية تهدف إلى إحياء الحوار وتفعيله حول القضايا التي تهم الشعب السوري، وتسعى إلى توطيد العلاقات وتفعيل التعاون والتنسيق بين السوريين. أعلن عن تأسيس مركز الحوار السوري أواخر 2015م عقب عدة فعاليات حوارية في الشأن السوري. يتكون المركز من ثلاث وحدات موضوعية: وحدة الهوية المشتركة والتوافق، ووحدة تحليل السياسات، والوحدة المجتمعية.

---

إعداد: د. ياسين جمول

مدير الوحدة: د. أحمد قربي  
وحدة التوافق والهوية المشتركة

التاريخ:

17 رمضان 1441 هـ - 10 مايو / أيار 2020 م

 WWW.SYDIALOGUE.ORG

## المحتويات

2.....	بين يدي سلسلة التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا
3.....	الملخص
4.....	المقدمة
5.....	1- القوة الناعمة الإيرانية لاختراق الثقافة السورية
5.....	1-1- القوة الناعمة: الوجه الآخر للحروب المعاصرة
6.....	1-2- موقع القوة الناعمة من استراتيجية إيران في تصدير الثورة
7.....	1-3- القوة الناعمة في استراتيجية إيران داخل سوريا: من التأسيس إلى التغلغل
8.....	1-4- التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا: الهدف والمفهوم
10.....	2- أدوات إيران الدينية للتغلغل الثقافي في سوريا
11.....	1-2- نشر التشييع: مفتاح إيران للتبشير بمشروعها التوسعي
14.....	2-2- الحجّاج والزوّار : طلائع إيران للتغلغل الثقافي
15.....	2-3- احتلال المقامات الدينية: بداية الاحتلال الإيراني لسوريا
17.....	2-4- الحوزات العلمية: بداية التغلغل الإيراني في التعليم
21.....	الخاتمة

## بين يدي سلسلة التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا:

باتت القوة الناعمة بمختلف أدواتها اليومَ من أهم أنواع القوى على الساحة الدولية، وتسعى إيران إلى المزاجية بين أدواتها الناعمة والقوة الخشنة في سياستها الخارجية؛ لاسيما تجاه المنطقة العربية.

وبعد سنوات على التدخل الإيراني في سوريا عبر الميليشيات الموالية لها؛ لم يعد الوجود الإيراني في سوريا محصوراً بالقوة العسكرية، بل زادت القوة الناعمة التي تعتمدها إيران في سوريا، والتي كانت موجودة قبل الثورة السورية بعقود، فبعد انتصار ثورة الخميني في إيران وتحسّن علاقاتها مع نظام الأسد أخذ الطابع الثقافي حيزاً من أنشطة إيران في سوريا، وبعد استلام بشار الأسد السلطة تجاوزت الأنشطة الثقافية الإيرانية في سوريا حدود الدبلوماسية الثقافية وأشكال القوة الناعمة التقليدية، لتأخذ طابع الحرب الناعمة على مختلف الأصعدة: الدينية والتعليمية والاجتماعية والإعلامية والديموغرافية.

لذا يكتسب التدخل الإيراني في سوريا طابعاً خاصاً؛ فإيران لم تكتفِ بوجود ميليشياتها ومرتزقها عسكرياً في سوريا، ولا باختراق الأجهزة الأمنية والعسكرية التابعة لنظام الأسد؛ وإنما دعمت هذا التدخل الخشن بأدوات متعددة ناعمة لاخترق الجانب الثقافي والاجتماعي السوري.

ولمّا تمثلت السياسة الإيرانية في تحقيق التغلغل الثقافي داخل النسيج السوري من مخاطر كبيرة على الهوية الوطنية السورية، وفي إطار جهوده للمساهمة في تعزيز الهوية الوطنية السورية الجامعة، ورصد الأخطار المحدقة بها؛ ينشر مركز الحوار السوري دراسة كاملة في أربعة إصدارات متتالية بعنوان: "التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا: أدواته، مخاطره، سبل مواجهته"، وهي متابعة لأوراق سابقة أصدرها المركز عن ميليشيات المشروع الإيراني في سوريا<sup>(1)</sup>؛ إذ إنّ الخطر الإيراني لا يقتصر على نشاط ميليشياتها العسكرية، بل تحاول اليوم خلق واقع ثقافي جديد تحرسه أذرعها العسكرية، وينقذ لها أهدافها البعيدة إن اضطرت للخروج من سوريا.

وقد استندت هذه الدراسة - فضلاً عن الدراسات العلمية والتقارير - على مجموعة من المقابلات الشخصية (وهي نحو عشرين) مع أكاديميين ووجهاء ومسؤولين في المؤسسات التعليمية والثقافية المختصة بين سوريا وتركيا ودول الخليج العربي والأردن<sup>(2)</sup>. واعتمدت الدراسة في الإصدارات الثلاثة الأولى المنهج الوصفي بدرجة كبيرة، والمنهج الوصفي التحليلي في الإصدار الأخير.

ترصد هذه الدراسة أدوات التغلغل الثقافي الإيرانية في سوريا على كافة الأصعدة: الدينية والتعليمية والاجتماعية والثقافية والديموغرافية، وتُظهر خطورة الحرب الثقافية التي تشهّنها إيران على الهوية السورية.

### مركز الحوار السوري- وحدة التوافق والهوية المشتركة

1- أصدر مركز الحوار السوري سلسلة أوراق بعنوان "ميليشيات المشروع الإيراني في سوريا" في ثلاثة أجزاء، بين 11/2019-2020/1، ثم أقام المركز بتاريخ 2020/1/16 ندوة حوارية بحضور مجموعة من المختصين والخبراء لمناقشة الأوراق وتطويرها. يُنظر: <https://cutt.us/4u8N2>

2 لقد تم إخفاء أسماء الأشخاص الذين أجريت المقابلات معهم اتباعاً لقاعدة "تشاتام هاوس"، والتي يقصد بها بأنه: «حينما يعقد اجتماع أو جزء منه في إطار قاعدة تشاتام هاوس، فإن المشاركين يكونوا احراراً في استخدام المعلومات التي يحصلون عليها، لكن من دون كشف هوية المتحدث أو انتماءه، ودفعاً للقاء للتركيز على سياق الحوار ومضمونه بغض النظر عن أشخاصه.

About Chatham House Rule look at, Chatham House Rule, Chatham House, link: <https://bit.ly/2YKgYCb>.

## الملخص:

يستعرض الإصدار الأول ضمن سلسلة "التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا" في قسمه الأول، مكانة القوة الناعمة في السياسة الإيرانية تجاه المنطقة عموماً، وتجاه سوريا خصوصاً، حيث كانت النتيجة: أن السياسة الناعمة التي اتبعتها إيران في سوريا قبل عام 2011، تحولت إلى حرب ثقافية وغزو فكري، استهدفت عبره إيران المجالات الدينية والاجتماعية والتعليمية السورية، في محاولة منها لاستغلال وجودها الخشن عبر ميليشياتها العسكرية، لتكريس نفوذ اجتماعي-ثقافي طويل الأمد.

خصص القسم الثاني من الإصدار لاستعراض الأدوات الدينية، والتي حددها بما يلي:

- 1- نشر التشيع: مع استحضار نسبة التشيع في الطائفتين العلوية والاسماعيلية، تبين أن المتضررين من حملة التشيع ليست الغالبية السنية فحسب. حيث أن من آثار نشر التشيع عند العلويين أنه لم يعد لرجال الدين سلطة مؤثرة على مجتمعهم كما كانت سابقاً، واختفت سلطة العوائل التقليدية، فأقصيت العائلات الكبرى والشخصيات النافذة دينياً وحلّ محلّها طاقم جديد من متقاعدي الجيش والأجهزة الأمنية الذين لا يُعتدّ بدورهم الديني كثيراً؛ إلا أن إيران تعتمد عليهم<sup>(3)</sup>.
- 2- الحجاج والزوار: حيث لا تزال الزيارات الدينية مستمرة حتى اليوم إلى سوريا من عدة دول بدعم إيراني، وتشارك أكثر من 15 منظمة في تنظيم هذه الزيارات عبر عدة حملات للترويج للنظام السوري، ولتأكيد استقرار المناطق التي يسيطر عليها.
- 3- احتلال المقامات الدينية: تعمل الميليشيات الإيرانية إلى جانب احتلالها المقامات وادعاء وجودها، على احتلال مساجد السنة في المناطق التي تسيطر عليها؛ كما هو حال ميليشيا حزب الله اللبناني التي حولت مساجد في الزبداني إلى مزارات. والتي تبقى خارج سلطة نظام الأسد الذي يمنح السلطات الإيرانية رسمياً الموافقة للاعتناء بها.
- 4- الحوزات العلمية: والتي تمثل خطراً على هوية سوريا وأمنها عبر تحطيم المرجعيات السنية والعلوية معاً.

<sup>3</sup>- صلاح الدهني، عربي 21 ترصد عمائم نفوذ إيران بسوريا ومؤسستها، عربي 21، 20 مارس 2019: ص 12 <https://cutt.us/hfs6f>

## المقدمة:

تزدحم الساحة السورية اليوم بالفاعلين من القوى الدولية والإقليمية، وتنصرف الأنظار بشكل أكبر إلى القوى العسكرية التي صارت تصطدم ببعضها أحياناً، والسوريون يراقبون فيفهمون بعض الصدمات، وتخفى أمور كثيرة أخرى عليهم.

لكنّ المشهد الحقيقي في سوريا ليس اليوم للعسكر وحدهم، فثمة تدخلات أخرى لا تقل خطورةً عن الأعمال العسكرية؛ بل لعلها في جزء منها أشد خطورةً وأطول أثراً في الجسم السوري، ونعني من ذلك الشأن الثقافي؛ إذ إن الثقافة هي الهوية، والهوية هي الوجود للوطن والمواطن، فالعبث في ثقافة البلد عبثٌ في تاريخه وحاضره ومستقبله.

استغلت بعض القوى المتدخلة في القضية السوري وجودها العسكري وقوتها الخشنة لتكريس وجود طويل الأمد عبر أدوات القوة الناعمة في المجالات الاجتماعية والثقافية. ينطبق هذا الأمر بشكل أساسي على السلوك الإيراني في سوريا.

فبعد أن رسخت إيران وجوداً عسكرياً قوياً عبر الميليشيات متعددة الجنسيات التي وظفتها للقتال إلى جانب نظام الأسد، دعمت تدخلها الخشن بأدوات ناعمة لاختراق النسيج الثقافي السوري، وبما يضمن لها قبولاً مجتمعياً نسبياً يمكن أن يمثل حاضنة لوجودها العسكري، كما هو حالها في العراق وإيران.

استخدمت إيران أدوات متعددة لتحقيق هذا التغلغل الثقافي، وفي مجالات متعددة، يأتي على رأسها الأدوات الدينية، التي تمثل نقطة استناد أساسية في السياسة الإيرانية لنشر مشروعها التوسعي في المنطقة. وبالتالي يسعى هذا الإصدار للإجابة على الأسئلة التالية:

- ما هي مكانة القوة الناعمة في السياسة الإيرانية التوسعية في المنطقة بشكل عام، وفي سوريا بشكل خاص؟
- ما هي أبرز الأدوات الدينية التي لجأت إليها إيران لاختراق النسيج الثقافي السوري؟

تبرز أهمية هذا الإصدار في أنه يركز على الأدوات الدينية التي اتبعتها إيران لتعميق وجودها داخل سوريا، خصوصاً وأن هذه الأدوات تمثل أولوية لدى إيران لأسباب متعددة، من أهمها: أن إيران تقدم نفسها على أنها الحامية لمصالح الشيعة<sup>(4)</sup> في العالم، كما أن هذا الجانب يؤمن لها مدخلاً مهماً من جهة تكريس خطاب المظلومية لدى الفئات المتشعبة، التي شيئاً فشيئاً تصبح ناقمة على محيطها العربي السني، وهو ما تسعى إليه إيران بشكل أساسي، فضلاً عن أن فكرة "حماية الأقليات" مثلت تاريخياً وسيلة مناسبة "مسمار جحا" للدول الطامعة في المنطقة للتدخل في شؤونها.

يقسم هذا الإصدار إلى قسمين: يبحث الأول- وهو القسم التمهيدي للدراسة كاملة- وبشكل مختصر مفهوم القوة الناعمة، ومكانتها ضمن السياسة الإيرانية، ويدرس الثاني الأدوات الدينية التي استخدمتها إيران للتغلغل الثقافي في سوريا.

4- لا بد من الإشارة أن ألفاظ (شيعة) و(سنة) و(علوية) و(إسماعيلية) وغيرها الواردة في هذا الإصدار وما يليه من إصدارات، إنما استعملت بمعانها المجردة، بعيداً عن المعاني الطائفية.

## 1- القوة الناعمة الإيرانية لاختراق الثقافة السورية

يندرج التغلغل الثقافي تحت ما يُعرف بالقوة الناعمة، وهي قوة تحتل موقعاً مهماً في السياسة الخارجية الإيرانية، لاسيما تجاه المنطقة العربية؛ لذلك ارتأينا التمهيد بإيجاز عن القوة الناعمة وأدواتها في الحروب المعاصرة، وأهمية هذه القوة في السياسة الإيرانية الخارجية عامةً، وتجاه سوريا خاصةً، مع تحرير مصطلح (التغلغل الثقافي) والتفريق بين الدبلوماسية الثقافية والإمبريالية الثقافية.

### 1-1- القوة الناعمة: الوجه الآخر للحروب المعاصرة:

يتصدر مصطلح "القوة" الحديث في العلاقات الدولية، لكنها قوى متنوعة لا قوة واحدة<sup>(5)</sup>، من ذلك ما أُطلق عليه "القوة الناعمة" وفق جوزيف ناي، ويُراد به اليوم: "قدرة الفاعل على التأثير في إدراكات وتفضيلات وحسابات وسلوكيات الآخرين اعتماداً بصورة أكبر على الموارد غير المادية"<sup>(6)</sup>؛ فهي حرب دون تكاليف بشرية واقتصادية عالية، والفاعلون فيها يصعب ملاحظتهم، ويُنجَز لهم ما يريدونه من تأثير طويل المدى لا يتحقق غالباً بالقوة الصلبة وحدها<sup>(7)</sup>؛ إنها حرب ناعمة أو "احتلال ناعم" سلاحه كتاب وصحيفة ومحطة تلفزة ومسرح، إضافة إلى شبكات كونية للهيمنة على وسائل الاتصال والتواصل، مع تقديم خبز وطحين للمنكوبين<sup>(8)</sup>.

وتتعدد أدوات القوة الناعمة من اللغة والأدب، والتراث الحضاري، والفنّ، والدين؛ إلا أنه يمكن اختصارها بـ "الثقافة"، والثقافة "قوة مفرقة ومجمّعة في الوقت نفسه"<sup>(9)</sup>.

لكنّ تسمية هذه القوة "ناعمة" لا يُلغي أنها "قوة" للتأثير وتحقيق الغلبة والسيطرة، فتجعل الآخرين يريدون ما تريد القوة الغالبة، فيتبعون قيمها ومؤسساتها من جهة، ولا تعني من جهة أخرى زوال تأثير القوة الصلبة؛ فتأثير قوتها الناعمة جاءها من قوتها العسكرية ابتداءً، فالقوة الناعمة قوة مساندة، وإن نجحت الدولة بالجمع بين قوتها الصلبة وقوتها الناعمة فهو ما بات يُطلق عليه "القوة الذكية"<sup>(10)</sup>.

5- يُنظر: صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتنجتون، ترجمة: طلعت الشايب، 1999م: ص55-56. والقوة الذكية في السياسة الخارجية (دراسة في أدوات السياسة الخارجية الإيرانية تجاه لبنان 2005-2013)، سماح عبد العي، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، 2014: ص23.

6- مفهوم القوة الناعمة وتحليل السياسة الخارجية، علي جلال معوض، مكتبة الاسكندرية، مصر: ص26. ويُنظر: الثقافة والقوة الناعمة.. حروب الأفكار في السياسة الخارجية، دراسات، مركز برق للدراسات والأبحاث، 2016/8/9. والقوة الناعمة لإيران في الشرق الأوسط، إباد المجالي وآخرون، المركز الديمقراطي العربي، 2019.

7- تصنّف دراسات أمريكية القوة في ثلاثة أصناف: القوة الصلبة، والقوة الناعمة، والقدرة على الإرغام وتعني: استخدام الوسائل غير العسكرية للضغط على الدول لحملها على فعل الأمور التي ما كانت لترضى بها في ظروف أخرى، كالعقوبات الاقتصادية والهجمات الإلكترونية والعمليات الاستخباراتية السرية ودعم المعارضة السياسية والتضييق على التجارة والحظر على البضائع والأشخاص. يُنظر: القدرة على الإرغام مواجهة الأعداء بدون حرب، مؤسسة Rand، كاليفورنيا <https://cutt.us/DxlrX>

8- يُنظر: العرب وتساعد خيار القوة الناعمة، خير الدين عبد الرحمن، مجلة الفيصل، العددان 435-436، 1433هـ: ص13.

9- صدام الحضارات: ص48.

10- القوة الذكية في السياسة الخارجية: ص63.



## 2-1- موقع القوة الناعمة من استراتيجية إيران في تصدير الثورة:

ليست كل الدول سواءً في قواها وحُسن استثمارها مصادر قواتها، ولا في مطامحها خارج حدودها؛ وبالنظر إلى إيران فإنه يلزم الإقرار بتنوّع مصادر قوتها الصلبة والناعمة، وبِعظيم مطامعها في الدول والشعوب من حولها، ومراجعة الدستور الإيراني وأقوال بعض قادتها يؤكد اهتمام إيران البالغ بالقوة الناعمة<sup>(11)</sup>؛ لاعتماد إيران في سياستها الخارجية بشكل كبير على ما تسمّيه "تصدير الثورة"، وهو ما أكّد الخميني استحالة تراجع إيران عنه<sup>(12)</sup>، وقال في الذكرى

سخرت إيران زهاء 50 قناة ناطقة بالعربية، وعلى أشكال عدة، ثقافية ودعوية وتعبوية وسياسية، وبرامج أطفال ومسلسلات تاريخية لتصدير الثورة الخمينية. كما تمتلك إيران ما يفوق 11 ألف موقع إلكتروني و2100 مركز دراسات تعمل باللغة العربية لخدمة مشروعها في المنطقة على حساب بلدان العربية ونشر أيديولوجيتها بين مختلف الأوطان العربية

السنوية الأولى للثورة: "إننا نعمل على تصدير ثورتنا إلى مختلف أنحاء العالم"<sup>(13)</sup>؛ لأن أيديولوجية الثورة الإيرانية هي أيديولوجية عابرة للحدود، فالمراد بـ"تصدير الثورة"<sup>(14)</sup>: تنفيذ برامج وسياسات من طرف مؤسّسي الثورة بغاية التأثير على المجتمعات الأخرى؛ انطلاقاً من أن إيران هي قلب العالم الإسلامي بوصفها القلب المذهبي للإسلام الصحيح؛ فهي المخلّص لدول العالم الإسلامي من الديكتاتوريات التي تحكمها لتخلص لها القيادة وإنقاذ العالم<sup>(15)</sup>.

وتمتلك إيران من أدوات القوة الناعمة ترسانة كبيرة، تتمثل في: الثقافة وتضم اللغة الفارسية والتقاليد الإيرانية والتشيع، والقيم السياسية، والسياسات الخارجية<sup>(16)</sup>. وتوظّف لتنفيذها عدداً كبيراً من المؤسسات داخل إيران وخارجها، وتحت إشراف مرشد الثورة الإيرانية بصفته السلطة الأعلى لتحقيق "تصدير الثورة"<sup>(17)</sup>.

على سبيل المثال، سخرت إيران زهاء 50 قناة ناطقة بالعربية، وعلى أشكال عدة، ثقافية ودعوية وتعبوية وسياسية، وبرامج أطفال ومسلسلات تاريخية لتصدير الثورة الخمينية. كما تمتلك إيران ما يفوق 11 ألف موقع إلكتروني و2100 مركز دراسات تعمل باللغة العربية لخدمة مشروعها في المنطقة على حساب بلدان العربية ونشر أيديولوجيتها

11- يُنظر: كتاب الحرب الناعمة معالم رؤية الإمام الخامنّي دام ظلّه، إعداد وإصدار مركز الحرب الناعمة للدراسات، بيروت، 2014.

12- يُنظر: البعث الشيعي في سورية (1919 – 2007)، المعهد الدولي للدراسات السورية، 2009: ص65.

13- المشكلة الشيعية، أسامة شحادة، كتاب الراصد3، 2008: ص264.

14- يُنظر: الاستراتيجية الإيرانية في المنطقة العربية القيود والفرص (2010-2015)، رسالة جامعية، جامعة الشرق الأوسط، منعم أحمد حسن، 2016: ص41، القوة الصلبة والناعمة لإيران، عبد الله يغين، مجلة رؤية تركية، 2/5-2016: ص92، والمشروع الإيراني الصفوي الفارسي مقدماته وأخطاره ووسائل التصدي له، محمد بسام يوسف، 2010: ص13، والتوظيف الإيراني للفارسية.. دور اللغة في تصدير الثقافة والثورة، أحمد موسى، مجلة الدراسات الإيرانية، مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية، السنة الثانية، العدد الخامس، ديسمبر 2017: ص6.

15- هذا تلخيص ما يُعرف في ثقافة الثورة الإيرانية بنظرية "أم القرى"، وقد ورد في استراتيجيات إيران: "الواجب الرئيسي لكل فرد مسلم في الدرجة الأولى هو المحافظة على إيران الإسلامية، إيران التي هي دون أدنى شك أم القرى في العالم الإسلامي". يُنظر: مقولات في الاستراتيجية الوطنية، تأليف: محمد جواد لاريجاني، ترجمة وتحليل: نبيل العتوم، مركز العصر للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية، لندن، 2013: ص43.

16- اكتشف القوة الناعمة الإيرانية: 2، ويُنظر: القوة الناعمة لإيران في الشرق الأوسط: ص9، ومستقبل مكانة إيران الإقليمية في الشرق الأوسط، فراس إلياس، مجلة (Bölgesel Araştırmalar Dergisi) للدراسات الإقليمية، 2017/10/30.

17- القوة الذكية في السياسة الخارجية: مرجع سابق، ص137.



بين مختلف الأوطان العربية (بالإضافة إلى المئات من المراكز والمواقع التي تعمل باللغات الأخرى) وفقاً لإحصائيات ويكيليكس<sup>(18)</sup>.

### 3-1- القوة الناعمة في استراتيجية إيران داخل سوريا: من التأسيس إلى التغلغل:

تصدر المنطقة العربية – وفق الوثائق الإيرانية – أهداف قوة إيران الناعمة<sup>(19)</sup>، ومن المنطقة العربية تقع "سوريا" بمنزلة القلب بالنسبة إلى الإستراتيجية الإيرانية، حتى قال معمم مقرب من المرشد علي خامنئي: "إن فقداننا سوريا فلا يمكننا أن نحافظ على طهران"<sup>(20)</sup>، فهي لإيران البوابة إلى العالم العربي وإلى العالم بأسره؛ لأنها منفذ للوصول إلى المياه الدافئة في المتوسط وتحقيق الهلال الشيعي<sup>(21)</sup>، وبهذا الاهتمام كان الاندفاع الإيراني للعلاقة مع سوريا.

وما يعيننا هنا تأسيس العلاقة الإيرانية السورية – في عهد الأسد الأب، ومن بعده الأسد الابن، وحتى اليوم – من جهة أثره على التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا<sup>(22)</sup>. فقد ابتدأت علاقة حافظ الأسد بالخميني قبل الثورة الإيرانية<sup>(23)</sup>، فلما نجحت ثورة الخميني أرسل الأسد نائبه إليه للتهنئة، وابتدأت علاقة لم يمنع من تميزها وقوتها كثرة المتناقضات بين نظام ديني شيعي ينادي بالإسلام ونظام الأسد "العلماني القومي العربي"؛ فكان ما جمع بينهما من عوامل إقليمية ودولية أكبر، وليس الانتماء الطائفي ببعيد للجمع بينهما<sup>(24)</sup>.

وإن كان توافق الإيرانيين ونشاطهم في التشييع بدأ على عهد حافظ الأسد إلا أنه حفظ مسافات أمان مع أهل البلد والمؤسسة السنّية، فكان يوقف بعض الأنشطة الإيرانية التي تثير الناس، ويحدّ من نشاطهم في التشييع أحياناً<sup>(25)</sup>.

وبعد استلام بشار الأسد دخلت العلاقة السورية الإيرانية طوراً جديداً؛ فنشط الإيرانيون في سوريا أضعاف ما كانوا عليه في عهد والده، وزادت حركة التشييع في مختلف المناطق بين السنّة وغيرهم، وألغى الأسد الابن أي اعتبار للمؤسسة الدينية السنّية وفسح المجال للتعليم الديني الشيعي<sup>(26)</sup>، وانطلقت المستشارية الثقافية الإيرانية في دمشق

<sup>18</sup> ينظر: مصطفى حسين، إمبراطورية إيران الإعلامية، موقع الراصد، 19-3-2017، الرابط: <https://bit.ly/3ffmCbW>، الوجه الآخر للقوة الناعمة الإيرانية، فراس إلياس، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، 8/يوليو/2018، الرابط: <https://cutt.us/KXJqj>.

19- اكتشاف القوة الناعمة الإيرانية القدرات وحدود التأثير، علي حسين باكير، مركز الجزيرة للدراسات، 4/11/2013، <https://cutt.us/MDuTf>  
20- النخبة السياسية الإيرانية وسوريا.. مسارات متوازنة نحو الهدف ذاته، إسكندر صادقي بروجردي، ترجمة: ماريا المنجد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، العدد الأول، شباط 2014: ص8.

21- يُنظر: أثر المذهبية في السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الشرق الأوسط: دراسة حالة العراق – سوريا – لبنان، المركز الديمقراطي العربي، يونيو 2017: ص40، ومحددات الوجود الإيراني في سورية، مركز حرمون، آذار 2018: ص7.

22- يُنظر مثلاً: الجيش والسياسة في سورية (1918-2000م)، بشير زين العابدين، دار الجابية، 2008: ص502. وسوريا الدولة المتوحشة، ميشيل سورا، ترجمة: أمل سارة ومارك بيالو، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017: ص174. والعلاقات السورية الإيرانية بين التعاون والتحالف، حسين العودات، شبكة فولتير، 2/2007، <https://cutt.us/e4TRY>. ومستقبل التوغّل الإيراني في سوريا في ميزان نظرية الدور في العلاقات الدولية، عبد الرؤوف الغنيمي، 8/2017، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية <https://cutt.us/NsgvS>. وقصة العلاقات السورية الإيرانية، عبد الجليل زيد المرهون، المعرفة، الجزيرة نت، <https://cutt.us/OayGT>. والعلاقات الإيرانية السورية (1979-2010)، مركز المزمرة للدراسات والبحوث، 12/2013، <https://cutt.us/Moy75>.

23- البعث الشيعي: ص37. ويُنظر: التجمعات الشيعية في بلاد الشام (الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة)، أسامة شحادة وهيثم الكسواني، مكتبة مدبولي، مصر، 2010: ص110.

24- يُنظر: الروابط الدينية بين إيران وسوريا، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، 6/2013، <https://cutt.us/mRPLV>

25- يُنظر: البعث الشيعي: ص39-42.

26- يأتي الحديث عنها في التعليم الديني.

بأنشطة ثقافية وتعليمية شتى، توجت بافتتاح أقسام ومراكز لتعليم الفارسية، وبتوقيع اتفاقيات للتبادل الطلابي، وشهدت دمشق في عهد الأسد الابن فعاليات شيعية لم تعرفها من قبل برعاية حكومية وحماية أمنية<sup>(27)</sup>.

#### 4-1- التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا: الهدف والمفهوم:

عند انطلاق الثورة السورية سارعت إيران بالوقوف إلى جانب نظام الأسد، ومع امتداد الثورة وتطور تدخل إيران وهيمنتها على الدولة ككل<sup>(28)</sup>، ازدادت جرأة لتحقيق ما كانت تروى في إنجازها من التغلغل الثقافي؛ فالأمر الثقافي لم يغب عن خطة إيران في سوريا في ذروة خطتها العسكرية<sup>(29)</sup>، فتابعت ما كانت بدأتها منذ بدء علاقاتها زمن الأسد الأب بزخم أكبر؛ فكثرت الفاعلين في المشهد السوري، وتعالى النداءات المطالبة بخروج القوات الأجنبية؛ دفعت إيران بعجلة التغيير الثقافي والديمقراطي الذي يحفظ لها وجودها إن اضطرت للخروج بميليشياتها من سوريا، فالحرب التي تخوضها إيران في سوريا لتحقيق هذه التبعية ليست حربها العسكرية فحسب؛ وما تهدف إليه إيران يتجاوز تثبيت أركان الأسد<sup>(30)</sup>؛ بل هو تغيير ثقافي في البلد برمته، وهذا التغيير لا يمكن أن يكون خلال أعوام يسيرة؛ إذ الحروب الثقافية والحضارية طويلة الأمد<sup>(31)</sup>، تتقارب الخطوات فيها حيناً وتتباعده حيناً آخر وفق ما تتيحه الظروف السياسية والاجتماعية.

وتُعرف الثقافة بأنها: مجموعة معقدة تشتمل على المعارف والمعتقدات والفنون والصناعات والأخلاق والعادات والتقاليد التي يكتسبها الفرد كعضو في مجتمعه<sup>(32)</sup>، فمصادر الثقافة بهذا المعنى هي: الدين، والقيم، والعادات والأعراف، والتقاليد والشعائر والطقوس، والتراث<sup>(33)</sup>؛ فهي تشير إلى مجمل أسلوب الحياة لدى شعب ما<sup>(34)</sup>. وهي ما يُعرف بالهوية الثقافية للأمم والشعوب، وتُعد من أهم عوامل بقاء الشعوب وقوتها وصمودها في الصراعات<sup>(35)</sup>. ولأنها

27- يُنظر: التشيع في سورية ليس خرافة: ص 80.

28- العلاقات السورية الإيرانية (2) الهيمنة الإيرانية على سورية 2011 – 2014، مركز المزملة للدراسات والبحوث، 2014/1، <https://cutt.us/qiNdD>.

مسؤول إيراني: نهيم على سوريا ولا حاجة لقاعدة عسكرية، حلم الإمبراطورية، إيران بوست، 2017/4/17، <https://cutt.us/dfiO1>.

29- كشفت مذكرات الجنرال حسين همداني القائد في الحرس الثوري الإيراني الذي قُتل في حلب عن خطة إيران في سورية، وقد جاء فيها أنه قُدمت لحسن نصر الله زعيم حزب الله للمراجعة والتقييم، فكان مما قاله نصر الله عن الخطة: "بشار الأسد وحزب البعث الحاكم في سورية غارقون في المستنقع حتى أعناقهم، ولم يبق شيء حتى يغرقوا بالكامل. في مثل هذه الظروف تريدون أن تقوموا بعمل ثقافي؟! وتفتحون لهم صفوفاً وتعلمونهم؟! وتحذثونهم عن الأمور المعنوية؟! المجال الآن ليس مناسباً للعمل الثقافي أصلاً؛ فهم يغرقون". فواضح من كلام نصر الله أن الخطة الإيرانية كانت تتضمن مع الأعمال العسكرية أنشطة ثقافية. ينظر: رسائل الأسماك، ما تقوله مذكرات الجنرال همداني: الوصاية الإيرانية على سورية، فاطمة الصمادي، مجلة سياسات عربية، العدد 22، أيلول 2016: ص 141.

30- أعلن أكثر من مسؤول إيراني إمكانية التخلي عن الأسد حفظاً للمكتسبات الإيرانية في سورية بوصفها هدفاً إستراتيجياً. يُنظر: محددات الوجود الإيراني في سورية: ص 4.

31- صدام الحضارات: ص 409.

32- يُنظر: سوسولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكالات .. من الحدائث إلى العولمة، عبد الغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006؛ وفيه يذكر المؤلف أن تعريفات الثقافة أكثر من 160 تعريفاً: ص 23.

33- سوسولوجيا الثقافة: ص 133.

34- صدام الحضارات: ص 69.

35- الغزو الثقافي ومقاومته: ص 12.

كل ذلك فقد كان تغيير الثقافة وتدمير الهوية الثقافية هدف كل المستعمرين، على نحو ما قيل: "لن نقهر البلد ما لم نكسر عظام عموده الفقري التي هي: لغته وثقافته وتراثه الروحي"<sup>(36)</sup>.

فإنّ ما حصل بعد 2011 في سورية، هي حرب ثقافية شنتها إيران، وهذا ما يُعرف بالهيمنة أو الإمبريالية الثقافية، بمعنى أنه: محاولة للغزو والسيطرة على عقول الناس كأداة لتغيير علاقات القوى بين دولتين، وتكون مسخّرة للتوظيف السياسي على حساب الآخرين.

فإنّ صحّ تسمية النشاط الثقافي الإيراني في سوريا قبل /2011/ بـ"التدخل الناعم" أو "الدبلوماسية الثقافية"<sup>(37)</sup>؛ فإنّ ما حصل بعد 2011 هي حرب ثقافية، وهذا ما يُعرف بالهيمنة أو الإمبريالية الثقافية، أو التغلغل الثقافي<sup>(38)</sup>، بمعنى أنه: محاولة للغزو والسيطرة على عقول الناس كأداة لتغيير علاقات القوى بين دولتين، فالدبلوماسية الثقافية تشترط مبدأ التفاهم وتستند إلى أسس أخلاقية<sup>(39)</sup>، والإمبريالية الثقافية أداة خارجية ذات قوة ثقافية مسخّرة للتوظيف السياسي على حساب الآخرين<sup>(40)</sup>؛ وهذه الحرب الثقافية أخطر من الحرب الساخنة<sup>(41)</sup>؛ إذ إنها لا تستنفر الجماهير للمواجهة، بل تشلّ الإرادات بالتسلّل تدريجياً بمكبرٍ، وتدقّ على الأذهان والعقول والأذواق فتسمّمها، ليصبح المرء تابعاً لقيم وثقافة مستوردة مفروضة؛ وهذا هو المراد بالتغلغل الثقافي الإيراني في سوريا.

36- أمريكا والإبادات الثقافية، منير العكّش، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2009: ص13.  
37- يُنظر: السياسة الثقافية الأمريكية تجاه الوطن العربي: دبلوماسية ثقافية أم إمبريالية ثقافية؟ زايد عبّيد الله مصباح، مجلة المستقبل العربي، لبنان، السنة 37، العدد 427، أيلول/2014: ص101.  
38 لا بد من التنويه هنا إلى أن المقارنة نسبية؛ ومنحصرة بين مستوى النشاط الشيعي زمن حافظ الأسد وبين زمن وريثه بشار، وإلا فلو كانت المقارنة بين دعم النظام الحاكم للنشاط الشيعي ومستوى دعمه للعمل الثقافي الوطني السوري، فإن الأمر لم يختلف بين الحقيبتين، على اعتبار كانت الغلبة في كليهما لدعم النشاط الثقافي الشيعي.  
39- هذا لا يعني أن العلاقة القائمة بين نظام الأسد وإيران قبل عام 2011 كانت قائمة على مبدأ التفاهم وأسس أخلاقية، بل على العكس كانت قائمة على المحاباة والتبعية، حيث أن النظام سهل النشاط الإيراني ومنحه امتيازات استثنائية ساعدته على الانتشار ضمن المجتمع السوري.  
40- يُنظر: الثقافة والقوة الناعمة حروب الأفكار في السياسة الخارجية: ص24، والسياسة الثقافية الأمريكية تجاه الوطن العربي: ص103.  
41- يُنظر: الغزو الثقافي ومقاومته، عزيزة الحاج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983: ص20.

## 2- أدوات إيران الدينية للتغلغل الثقافي في سوريا

على قَدْرٍ ما يدخل الدِّين في تكوين الهوية الثقافية لأية أمة من الأمم يتقدّم في هوية إيران، بل بشكل أكبر؛ لأنه يأخذ شكلاً مذهبياً أضيق، فالتشيعُ الذي بدأ عربياً أوائل العصر الإسلامي -بحسب البعض- تطوّر مبكراً ومع الزمن وفق عوامل كثيرة، حتى انتهى - في إيران وخارجها - تشيعاً فارسياً يجمع مع عناصر المذهب دخائل كثيرة يمتزج فيها الانتماء الديني مع الانتماء القومي والتعصب للحضارة الفارسية، ويختلف كثيراً عن التشيع العربي القديم<sup>(42)</sup>، واكتملت خصائص هذا "التشيع الفارسي" بما فرضه الخميني من مبدأ "ولاية الفقيه"<sup>(43)</sup>، ليختصر ما يكون للإمام المنتظر في عقيدة الشيعة - وهي كذلك امتداد لِمَا هو للنبي محمد صلى الله عليه وسلّم وانتقلت للأئمة من بعده - من صلاحيات دينية ودنيوية في شخصه ومن خلفه من بعده. وهذه الصورة للتشيع باتت أعلى مكوّنات الهوية الثقافية الإيرانية، وصارت تتصدّر أدوات إيران للتغلغل الناعم في دول المنطقة، فهو أقوى سلاح في ترسانة القوة الناعمة لإيران منذ ثورة الخميني عام 1979<sup>(44)</sup>.

لذا فإن التشيع وفق مبدأ ولاية الفقيه أول ما تحرص إيران على تصديره ضمن مفهومها "تصدير الثورة". ونرصده هنا أدوات إيران للتغلغل الثقافي على الصعيد الديني في سوريا من خلال: نشر التشيع، والحجّاج والزوّار، واحتلال المقامات، والحوزات العلمية.

<sup>42</sup> - التشيع الفارسي: تركيب يلاقح بين السلطة الإسلامية والإمامة الدينية مع السلطة الفارسية، ويطفح بالكراهية والأحقاد والخرافات والمطامع التوسعية، وقد سيطر التشيع الفارسي لمئات السنين داخل إيران وخارجها، ومن الغرب سيطرة التشيع الفارسي كذلك في الحوزة الشيعية الأولى في النجف، رغم ظهور مرجعيات عربية تخالف ذلك التشيع؛ لكن سطوة المرجعيات الفارسية وانهايمها لهم ومحاربتهم جعلت محاولاتهم تفشل. يُنظر: التشيع العربي والتشيع الفارسي دور الفرس التاريخي في انحراف التشيع، الباحث نبيل الحيدري، دار الحكمة، لندن، 2014. والتشيع الفارسي وموقفه من المخالفين، رسالة جامعية، جامعة أم القرى، زُهرة الشمrani، 2012.

<sup>43</sup> - ولاية الفقيه: مبدأ عُرف عند بعض علماء الشيعة، لكنّ الذي فرضه رغم الاختلاف فيه هو الخميني بعد الثورة الإيرانية، ويتلخص في أنه هو أو من خلفه كمرشد للثورة الإسلامية في إيران هو الولي على كافة المسلمين في العالم، وطاعته واجبة كطاعة الإمام المهدي المنتظر لأنه نائبه، ولذا فهو لا يُنتخب من الشعب، بل يختاره مجموعة من الفقهاء الخبراء، ولا يتعدد الولي الفقيه لأن ذلك يؤدي إلى اختلال النظام؛ فولاية "الولي الفقيه" شعبة من ولاية رسول الله المطلقة؛ فقراراته قوانين "إلهية" واجبة التنفيذ ولا يسع أي مرجع أو مقلد الخروج عنها. ونظرية ولاية الفقيه بهذا المفهوم الخميني تشكل ثورة جذرية على نظرية الإمامة؛ لأنها لا تشترط العصمة ولا النص ولا السلالة الحسينية في الإمام، وتكتفي بالفقه والعدالة، وتشكل كذلك ثورة على نظرية الانتظار للإمام المهدي وإن كانت تدعي النيابة العامة عنه. يُنظر: تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، أحمد الكاتب، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2005: ص 41. والعرب وإيران مراجعة في التاريخ والسياسة، مجموعة من الباحثين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2012: ص 46. والاستراتيجية الإيرانية في المنطقة العربية القيود والفرص: ص 23. والمشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية، مجموعة من الباحثين، مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية، دار عمار، 2013: ص 31 و 283. وإيران من الداخل، فهدى هويدي، مركز الأهرام للترجمة والنشر، 44، 1991: ص 89.

<sup>44</sup> - يُنظر: الصحوة الشيعية بوصفها قوة إيران الناعمة: تحليل تاريخي، طارق زيبا كلام، الجزيرة نت، 2013/4/3 <https://cutt.us/wRBhr>

## 1-2- نشر التشيع (45): مفتاح إيران للتبشير بمشروعها التوسعي:

يرجع تاريخ التشيع في سوريا إلى فترات طويلة سابقة (46)؛ إلا أن الإحصاءات الرسمية تدلّ أن الشيعة في سوريا طائفة صغيرة للغاية سنة 1953م، إذ كانت نسبة الشيعة (0.4%) من سكان سوريا (47).

تمدّد التشيع جغرافياً 11 مرة في عهد حافظ عما سبقه، وتضاعفَ في عهد بشار 39 مرة عما قبل 1970م، وما يقارب 3 مرات عن عهد الأسد الأب، وتركزت أكبر نسبة للتشيع في الوسط السّني في الجزيرة السورية (الرقّة - دير الزور - الحسكة).

لكنّ هذه النسبة تغيرت كثيراً خلال عهد حافظ الأسد ومن بعده بشار بعد إفساح المجال لإيران لنشر التشيع في سوريا؛ إذ تُعد فترة حكمهما المرحلة الذهبية للتشيع في سوريا، فقد بلغ عدد المتشيعين نحو 76 ألفاً، منهم 53 ألفاً من العلويين و16 ألفاً من السنّة وسبعة آلاف من الإسماعيلية، ويُقدّر عدد السنّة الذين تشيعوا في عهد حافظ الأسد (1970-1999) بـ 6960 شخصاً، أي: 232 شخصاً في السنة الواحدة. بينما يُقدر عدد المتشيعين خلال المدة (1999-2007) من عهد بشار بـ

8040 شخصاً، أي: 1005 أشخاص في السنة الواحدة. وانحصر التشيع جغرافياً في 11 منطقة جغرافية قبل 1970، وفي 71 منطقة جغرافية جديدة في عهد حافظ الأسد، وفي 65 منطقة جديدة حتى 2007 من عهد بشار؛ أي: أن تمدّد التشيع جغرافياً 11 مرة في عهد حافظ عما سبقه، وتضاعفَ في عهد بشار 39 مرة عما قبل 1970م، وما يقارب 3 مرات عن عهد الأسد الأب، وتركزت أكبر نسبة للتشيع في الوسط السّني في الجزيرة السورية (الرقّة - دير الزور - الحسكة) (48)؛ والذي اشتد في عهد بشار، عما كان عليه في عهد الأسد الأب الذي منع بعض أنشطة التشيع (49).

هذا ولم تكن إيران قد تغوّلت في سوريا على نحو ما هي عليه اليوم بأضعاف؛ فلا بد أن السنوات التي أعقبت الثورة شهدت مضاعفةً لهذا الرقم، وإن كنا نعجز عن معرفة الأرقام الدقيقة لهذه التغيرات؛ فلا بد أن تغييراً كبيراً حدث في نسبة الشيعة منذ 2012.

والذي يجعلنا نُدرج نشر التشيع في مقدّم أدوات التغلغل الثقافي الإيراني؛ وقد يصحّ أن يكون من ثمرات التغلغل الثقافي كذلك: هو أن إيران تعمل على نشر التشيع وفق منظورها الذي سبق بيانه، وترصد له مبالغ مالية هائلة (50)، ولذا فإنه أداة لترسيخ النفوذ الإيراني في سوريا وغيرها، وهنا تأتي إشكالية هذا التغلغل بنشر التشيع وفق مبدأ ولي

<sup>45</sup> يقتصر تناول نشر التشيع هنا كونه أحد استراتيجيات التغلغل الثقافي الإيراني، ويُنظر للتفصيل في التشيع وطرائقه وتوزّعه الجغرافي ودعائه مثلاً:

- البعث الشيعي في سورية (1919 - 2007)، المعهد الدولي للدراسات السورية، 2009.

- وتحذير البرية من نشاط الشيعة في سورية، تأليف: عبد الستار آل حسين، دار المحدثين، مصر، 2007.

- وخريطة التشيع في المدن السورية، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، يونيو 2018.

- والتشيع في سورية ليس خرافة، بحث ميداني، خالد السنداوي، إعداد وترجمة: حمد العيسى، دار مدارك للنشر، الإمارات، 2014.

46- التشيع في سورية ليس خرافة: ص40.

47- البعث الشيعي: ص26.

48- البعث الشيعي: ص160-170. وتساعد المد الإيراني في العالم العربي، السيد أبو داود، مطبعة العبيكان، السعودية، 2014: ص343.

49- مقابلة مع ناشط ديني وسياسي ومعتقل في صيدنايا سابقاً بسبب نشاطه الديني، وهو أحد مشايخ المنطقة الشرقية، إسطنبول، 2020/2/23.

50- رصدت الحكومة الإيرانية - رغم الوضع الاقتصادي الصعب الذي يعيشه المواطنون الإيرانيون - ميزانية ضخمة جداً لنشر التشيع، فتجاوزت في عام واحد

(2.3) مليار دولار! يُنظر: المشكلة الشيعية: ص16.

الفقيه الذي هو جزء هوية إيران الثقافية<sup>(51)</sup>؛ لأنه – وهذا جوهر المشكلة الشيعية اليوم – يخلق لدى المؤمنين بولاية الولي الفقيه – وهو حالياً علي الخامني خليفة الخميني – ازدواجيةً في الهوية ما بين دولهم التي ينتمون إليها وإيران حيث مرجعيتهم المذهبية العليا، ما يجعل المواطنين الشيعة في مختلف البلدان مرتبطين بالقيادة الإيرانية على حساب ارتباطهم ببلدهم<sup>(52)</sup>. وهذا ما بدأ يتحقق لإيران في سوريا – على نحو ما تحقق لها من قبل في لبنان<sup>(53)</sup> وفي العراق<sup>(54)</sup> –؛ ففي وثيقة مسربة لإحدى ميليشيات الدفاع الإيرانية في سوريا نجدتها تُطالب إيران بزيادة عدد الدورات الدينية لأتباعها "ما يؤدي إلى نشر الوعي الإيماني والعقائدي، والتمسك بأخلاق ونهج الولي الفقيه"، وتطالبها بإنصاف مقاتليها وذوئهم أسوأً بمقاتلي حزب الله اللبناني، وتطلب من إيران وحزب الله ضمان تمثيل الشيعة في مفاصل الدولة والدوائر الرسمية كافة. وفي الوقت نفسه، أنشئ لأول مرة هيكلية تنظيمية شيعية جامعة في سوريا عام 2012 بدعمٍ من إيران، تتمثل بالمجلس الإسلامي الجعفري الأعلى في سوريا، في خطوة مستلهمة من المجلس الشيعي الأعلى في لبنان، ما يؤكد أن هذا المجلس "تيار خميني" في سوريا<sup>(55)</sup>.

والتشيع وفق المنظور الإيراني كذلك يفصل الشيعة والمتشيعين عن محيطهم الذي ينشؤون فيه<sup>(56)</sup>؛ فإيران تربطهم بها عاطفياً عبر خطاب طائفي تستغل فيها مشاعرهم، فلا يتقدم عندهم حتى في علاقاتهم الاجتماعية شيء على التشيع والولاء لإيران ومشروعها، وهذا ما تحقق كذلك في سوريا؛ فأرنا أناساً "شيعة" عاشوا مع السوريين سنوات قبل الثورة، وكان لهم معهم تجارة ومُصاهرة؛ فلما كانت الثورة وقفوا مع قوات النظام ودخلوا عليهم بيوتهم وقتلوهم وطلّقوا بناتهم اللاتي عندهم كما روى أحد أبناء بصرى في حوران<sup>(57)</sup>، وما حصل بعد ذلك من المتشيعين من أبناء دير الزور الذين انضموا للميليشيات الإيرانية، فقتلوا أهلهم، واشترطوا اعتناق المذهب الشيعي على من يريد العودة إلى منطقتهم<sup>(58)</sup>.

<sup>51</sup> يُنظر: المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية: ص 220، والدور الإقليمي الإيراني في النظام الشرق أوسطي بعد الحرب الباردة، عيساوة أمّنة، رسالة جامعية، جامعة الحاج لخضر – باتنة، الجزائر، العام الدراسي 2009-2010: ص 74.

<sup>52</sup> يُنظر: المشكلة الشيعية: ص 42، والدور الإقليمي في النظام الشرق أوسطي بعد الحرب الباردة: ص 105، والعرب وإيران مراجعة في التاريخ والسياسة: ص 42، والمشروع الإيراني الصفوي الفارسي مقدماته وأخطاره ووسائل التصدي له: ص 33، والدور الإيراني ومستقبل العلاقات السنية الشيعية، يحيى بوزيدي، بحث في مجلة رؤية تركية، 2016-2/5: ص 202.

<sup>53</sup> صرح نائب الأمين العام لحزب الله بقوله: "لا علاقة لموطن الولي الفقيه بسلطته، كما لا علاقة لموطن المرجع بمرجعيتهم؛ فالإمام الخميني كولي على المسلمين كان يدير الدولة الإسلامية في إيران كمرشد وقائد وموجه ومشرف على النظام الإسلامي هناك، وكان يحدد التكليف السياسي لعامة المسلمين في البلدان الأخرى!" يُنظر: التشيع الفارسي وموقفه من المخالفين: ص 331؛ وسيا تي مزيد تفصيل عند الحديث عن حزب الله كأداة للتغلغل الثقافي الإيراني في سورية.

<sup>54</sup> يؤكد الباحث الإيراني كهان برزكان أن استخدام التشيع في السياسة الخارجية الإيرانية قديم، لكنه أصبح أكثر فاعلية بعد غزو العراق 2003؛ إذ ضمن لهم دخول التشيع في السلطة والسياسة تقوية نفوذ إيران، حتى يمكن القول: إن الجانب الديني قد وقّر قدرة تأثير إيران في محيطها الإقليمي؛ لهذا تعمل على نشر المذهب الشيعي بالفهم الإيراني المستند إلى ولاية الفقيه الذي تتبناه. يُنظر: أثر المذهبية في السياسة الخارجية الإيرانية: ص 47.

<sup>55</sup> يُنظر: انبعاث الشيعة، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، أيار 2017 <https://carnegie-mec.org/diwan/69855>

<sup>56</sup> المشكلة الشيعية: ص 14.

<sup>57</sup> مقابلة مع أحد أبناء كبرى عوائل بصرى، عاصر وصول الشيعة من لبنان وما فعلوه بأهالي البلدة في بداية الثورة، قطر، 2012/2/16.

<sup>58</sup> كيف تتغلغل إيران في دير الزور؟ وكيف تبني الحسينيات؟ عدي عبد الله، موقع الحل السوري، 2018/3/3. <https://0i.is/7AGu>



فإيران بهذا تبني لنفسها "مصدّات دفاع مذهبي" (59) خارج حدودها تحقق لها الهيمنة والسيطرة وبسط النفوذ عبر نشر التشييع وتأكيد تبعية المرجعيات والمقلدين الشيعة لإيران (60)؛ ما يوقّر لها عوامل قوة للدفاع عن أمنها القومي خارج حدودها، ويمنحها موارد وإمكانات تتفاعل مع مشروعها من مختلف الدول بصفتها حامية حتى الشيعة في العالم.

ومع استحضار نسبة التشييع في الطائفة العلوية يتأكد أن المتضررين من حملة التشييع ليست الغالبية السنّية فحسب، فمما نجده من آثار نشر التشييع عند العلويين أنه لم يعد لرجال الدين سلطة مؤثرة على مجتمعهم كما كانت سابقاً، واختفت سلطة العوائل التقليدية، فأقصيت العائلات الكبرى والشخصيات النافذة دينياً وحلّ محلّها طاقم جديد من متفاعلي الجيش والأجهزة الأمنية الذين لا يُعتدّ بدورهم الديني كثيراً؛ إلا أن إيران تعتمد عليهم (61).

ومما يُلاحظ في مساعي إيران لنشر التشييع والتغلغل الثقافي التركيزُ على البوابات الخارجية لسوريا شرقاً وغرباً؛ فاجتهدت في نشر التشييع في الجزيرة السورية كما سبق، وفي حين استطاعت إيران استمالة أفراد من القبائل البدوية هناك إلى المذهب الشيعي بالإغراءات المالية (62)؛ ضاعفت جهودها في البوكمال من ريف دير الزور، وهي المعبر الحدودي مع العراق، ولم يكن للشيعة وجود فيها حتى قيام الثورة السورية عام 2011م، لكنّ محاولات الشيعة لاختراق المدينة فشلت بحسب بعض الشهادات (63)، الذي أكّد أن التشييع بدأ في المنطقة خلال عهد الأسد الابن، واقتصر على أفراد قلة كانوا يُنبذون من الأهالي، الذين لم يسمحوا للمتشييعين بإقامة حسينية شرق البوكمال، لكنّ المنطقة بعد سيطرة داعش صارت هدفاً، فتكاثرت عليها الميليشيات الشيعية الطائفية حتى تمت لهم السيطرة على بوابة سوريا من جهة العراق بعد ذلك؛ لتأمين مرور القوافل تحت غطاء منظمات مجتمع مدني (64).

ولتأمين اتصال مناطق نفوذها كان عمل إيران في المقابل على بوابة سوريا من جهة لبنان غرباً في منطقة ريف حمص – القصير لنشر التشييع، وتكثفت جهودهم وصارت علنية بعد عام 2000م، حيث أقيم مسجد شيعي في مدينة القصير مع أن الشيعة فيها لا يتجاوزون العشرات، ومنه بدأ نشطاء من الشيعة باستقطاب المشايخ والمتعلمين لحضور فعاليات يقيمونها في المسجد يحضرها شيعة وافدون من لبنان القريب وغيرها، وقد نجحوا باستقطاب عائلة من السنّة للتشييع بإغرائهم بالوظائف والمال، وصار أفرادها بعد التشييع يعملون بدأبٍ لاستمالة زملائهم وأقاربهم بالترغيب تارةً بحكم علاقاتهم القوية في سوريا ولبنان وبالتهديد بالسلطات الأمنية تارةً أخرى (65)؛ وبالتالي في الحالتين كان الأمر بعيداً عن الطابع الإقناعي الطوعي، وذلك كله قبل عام 2011م.

<sup>59</sup>- المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية: ص 281 و349.

<sup>60</sup>- يُنظر: الاستراتيجية الإقليمية لكل من تركيا وإيران نحو الشرق الأوسط (2002-2013)، طایل يوسف العدوان، رسالة جامعية، جامعة الشرق الأوسط، 2013: ص 135. والمشروع الإيراني الصقوي في المنطقة العربية، عباس شريفة، بحث في مجلة مقاربات، العدد 6، 2019: ص 51.

<sup>61</sup>- صلاح الدهني، مرجع سابق، <https://cutt.us/hfs6f>

<sup>62</sup>- التشييع في سورية ليس خرافة: ص 50.

<sup>63</sup>- مقابلة مع أحد وجهاء عشائر البوكمال، وكان له فيها نشاط ديني وثقافي كبير حتى خروجه منها عند سيطرة داعش على المنطقة، جنوب تركيا، 2020/2/26.

<sup>64</sup> يعكف المركز حالياً على إعداد دراسة خاصة بالعلاقة بين المشروع الإيراني وجماعات الغلو والتطرف.

<sup>65</sup>- مقابلة مع مدرّس تربية إسلامية من أبناء القصير، جنوب تركيا، 2020/2/21.



بعد قيادة حزب الله اللبناني لمعركة القصر عام 2013، والتي أدت إلى تهجير أهلها منها وسيطرة الحزب عليها<sup>(66)</sup>، اتصلت هذه المناطق بتلك الواقعة تحت سيطرته في البقاع اللبناني.

فالمساعي الإيرانية التي لم تنجح قبل الثورة للتغلغل الثقافي ونشر التشييع بالقوة الناعمة في مناطق مهمة لها لاتصال الهلال الشيعي الذي ترمي إليه لجأت إلى القوة الصلبة عبر ميليشياتها بعد الثورة لفرضه؛ فإيران لا تخوض في سوريا حرباً جيوسياسية فحسب، بل أصبحت سوريا بالنسبة إليها معركة عقائدية مذهبية بامتياز<sup>(67)</sup>.

## 2-2- الحجّاج والزوّار: طلائع إيران للتغلغل الثقافي:

كان توافق الشيعة إلى سوريا بصفة الزيارات الدينية على الأغلب، وقد كان عدد الوافدين من إيران إلى سوريا سنة 1978 (أي: قبل ثورة الخميني) نحو 27000 زائر، وبعد خمس سنوات (أي: بعد ثورة الخميني عام 1979) بلغ العدد 202000 زائر، فتضاعف العدد نحو تسع مرات، وورد في تقرير الأمم المتحدة للعام 2006 أن الوافدين العراقيين في سوريا أكثر من مليون عراقي<sup>(68)</sup>، وسنة 2008 زار سوريا 360000 إيراني<sup>(69)</sup>، وبلغ عدد الزائرين من شيعة إيران مليوني زائر سنة 2011<sup>(70)</sup>.

ولا تعيننا هنا الزيارات الدينية كواحدة من ركائز ثقافة التشييع الفارسي<sup>(71)</sup>؛ بل في كون هذه الزيارات واحدة من أدوات التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا بما يرافقها من مواكب وشعائر؛ فبدءاً من عام 2001 انطلقت المسيرات الشيعية تجوب أحياء دمشق تضمّ عراقيين ولبنانيين وإيرانيين مع المتشييعين الجدد من السوريين، في مواكب لطم ولائية يعدونها أحد أبرز وسائل الدعاية والترويج للمذهب، دون أن يجرؤ أحد على التصدي لهذه الاستفزازات بشكل صريح مباشر نظراً لحمايتها من قبل أجهزة النظام الأمنية<sup>(72)</sup>، مع أنها طالت أرفع المعالم الإسلامية السنّية في دمشق (المسجد الأموي)، وهذه المواكب والطميمات وسيلة إيرانية لنشر ثقافتها ونموذجها الشيعي في سوريا؛ فهي لم تكن عند الشيعة الدمشقيين الذين كانوا يتوزعون أساساً في التقليد بين عدة مرجعيات<sup>(73)</sup>، وكانوا يرون اللطم والتطبير من المحرّمات<sup>(74)</sup>.

<sup>66</sup> يُنظر: معركة القصر والتداعيات والآثار، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مايو 2013.

<sup>67</sup> إيران ومعركتها العقائدية الكبرى في سوريا، فيصل القاسم، القدس العربي، 2014/4/ <https://cutt.us/Hzct3>

<sup>68</sup> يُنظر: تحذير البرية: ص 18.

<sup>69</sup> شاه إيران كان قلقاً من عروبة دمشق... وثورة المستضعفين تحالفت مع البعث العلماني وليس الإخوان، إبراهيم درويش، القدس العربي، يناير 2016.

<https://0i.is/56oK>

<sup>70</sup> وذلك بحسب إحصاءات وزارة السياحة السورية، يُنظر: محددات الوجود الإيراني في سورية: ص 13.

<sup>71</sup> يُنظر: التشييع العربي والتشييع الفارسي: ص 230.

<sup>72</sup> يُنظر: البعث الشيعي: ص 105-108. وتحذير البرية: ص 23.

<sup>73</sup> التشييع في سورية ليس خرافة: ص 28.

<sup>74</sup> يُنظر: كأنها الضاحية .. دمشق تلتحف بالمقامات والمزارات والطميمات الشيعية، ميرفت عوف، ساسة بوست، أبريل 2018. <https://0i.is/XtrS> ويذكر الباحثون أن طقوس التطبير والطم والإيذاء التي تُشاهد في مواكب وزيارات الشيعة حالياً مستحدثة، فبدأت بلبس السواد وحسر النساء عن شعورهن في نهاية الخلافة العباسية على يد البويهيين، وتطورت لضرب الرؤوس بالسيوف والسكاكين زمن الشاه إسماعيل الصفوي متأثراً بما رآه عند النصاري وقتها؛ وفي كتب الشيعة فتوى لكثير من علمائها ببدعيّتها وطلان تلك الطقوس. يُنظر: التشييع العربي والتشييع الفارسي: ص 252 وما بعدها.

وتركيز الزوّار والمتشيعين على تنفيذ مواكبهم واحتفالاتهم في دمشق، وتنديدهم فيها بظلم آل البيت على أيدي الأمويين، وتخصيص معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بالسبّ والشتم في عاصمة الأمويين دمشق<sup>(75)</sup> استفزازاً لمشاعر أهل الشام عامة، وبعثاً لأحقاد تاريخية قديمة تجاههم<sup>(76)</sup>.

ولا تزال الزيارات الدينية مستمرة حتى اليوم إلى سوريا من عدة دول بدعم إيراني، وتشارك أكثر من 15 منظمة في تنظيم هذه الزيارات عبر عدة حملات للترويج للنظام السوري، ولتأكيد استقرار المناطق التي يسيطر عليها؛ لذا لا يدّخر النظام شيئاً في سبيل تسهيل زيارة الحملات، ويضعها تحت حماية عناصر من الفرقة الرابعة<sup>(77)</sup>. وتُقدَّر إيرادات حملة المعراج الكويتية للزيارة (وتضم 3600 - 4800 زائر سنوياً) وحدها بنحو 10 مليون دولار سنوياً<sup>(78)</sup>، يأتي قسم منها من اشتراكات فردية للزوّار وتدعمها إيران بالقسم الآخر، وتستهدف هذه الحملة بأنشطتها الثقافية والدينية المناطق ذات الغالبية السنيّة، وتأتي بالمتشيعين من مختلف المناطق لتوزيع المساعدات عليهم في المقامات بدمشق؛ ومع نشاطها الثقافي والديني الكبير لا تبرأ هذه الحملة ومثيلاتها من تقديمها الأموال لغير العمل الإغاثي.

### 3-2- احتلال المقامات الدينية: بداية الاحتلال الإيراني لسوريا:

تقوم الثقافة الشيعية الإيرانية على تعظيم المقامات والحجّ إليها والبكاء عندها، وانطلاقاً من وصايتها المزعومة على الشيعة في العالم فمن أولويات إيران إعمار المراقد والمقامات الشيعية، وهذه المراكز ليست مراكز زيارة دينية فحسب؛ إذ لا تلبث أن تعلن إيران عن إقامة مقام حتى يبدأ الحجاج والزوّار بالتوافد عليه من العراق ولبنان وإيران والخليج، وتنهض من حوله سوق ويزدهر الموقع بالمهرجانات والمواكب والمسيرات، ليتحول إلى مركز تبشيري ووسط شيعي كأنه قطعة هاربة من أرض فارس<sup>(79)</sup>، وهذا حال الحسينيات التي تقيمها إيران جميعها، وقد تجاوزت في سنة 2014 الحسينيات قيد الإنشاء وفق إحدى الدراسات 500 حسينية، ووفقاً لمصادر أخرى فإن هذا الرقم يشمل دمشق فقط وليس سوريا كلها<sup>(80)</sup>.

وقد بدأت إيران الاهتمام بالمزارات والمقامات الدينية في سوريا منذ السبعينيات، فراحت تنبش قبوراً مندثرة غابت في الأرض، وتُنشئ مقامات أخرى لا أصل لها في أي من كتب التاريخ كمقام محسن بن الحسين قرب مشهد النقطة في حلب، ومقام السيدة سكينة في داريا<sup>(81)</sup> الذي تعمّد بشار الأسد - لغاية مقصودة تماماً - التقاط صورة له أمام لافتته خلال جولته على حواجز قواته في المدينة في آب 2013<sup>(82)</sup>، حتى بلغت مشاهد آل البيت في سوريا وفق المصادر

<sup>75</sup> في التاريخ الإيراني غير الرسمي: يعتبر الإيرانيون أن المؤشر المميز لانتصارهم على أهل السنة يتمثل في النهضة الشيعية التي تشهدها دمشق عاصمة الامبراطورية المكرهة! يُنظر: التشيع في سورية ليس خرافة: ص121.

<sup>76</sup> يُنظر: البعث الشيعي: ص8. وماذا تعرف عن ملف تجنيس الإيرانيين والتغيير الديمغرافي في سوريا؟ حرية برس، مارس 2020 <https://Oi.is/oWou>

<sup>77</sup> توصف الفرقة الرابعة في جيش النظام بأنها أهم مكونات جيش الأسد. يبلغ عدد أفرادها نحو 15 ألف مقاتل، وتعد من أفضل تشكيلاته تدريباً وتجهيزاً وتسليحاً، يقودها حالياً ماهر الأسد شقيق بشار الأسد، وتهم الفرقة بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية منذ اندلاع ثورة 2011. ينظر: الفرقة الرابعة في الجيش السوري، الجزيرة نت، الرابط: <https://bit.ly/2YH6fPk>.

<sup>78</sup> يُنظر: تحت غطاء زيارة العتبات المقدسة .. حملة كويتية لدعم المشروع الإيراني في سوريا، ياسر العلاوي، أنا برس، مارس 2020. <https://Oi.is/OPNu>

<sup>79</sup> البعث الشيعي: ص87.

<sup>80</sup> التشيع في سورية ليس خرافة: ص46.

<sup>81</sup> يُنظر: البعث الشيعي: ص84.

<sup>82</sup> التشيع في سوريا، زمان الوصل، 2014/12/23، ص15. <https://www.zamanawsl.net/news/article/56511/>

الإيرانية<sup>(83)</sup> نحو خمسين، نصفها في دمشق وحدها، وصار من يقف عند أبواب دمشق القديمة يستشعر أنه أمام مداخل الضاحية الجنوبية ببيروت، حيث معقل حزب الله اللبناني؛ لكثرة صور القتلى وتحته شعار "لبيك يا حسين"<sup>(84)</sup>. وتزداد الصور ورايات إيران وحزب الله اللبناني في الاحتفالات الدينية الشيعية التي يقيمونها عند المراقد في سوريا، ويحضرها في دمشق مفتي سوريا وآلاف من أنصار إيران من مختلف الدول، وتنقل أخبارها وكالات الأنباء الإيرانية<sup>(85)</sup>؛ لِمَا تجد فيها من انتصارٍ لمشروعها في التغلغل الثقافي والتغيير داخل سوريا.

وإلى جانب احتلال المقامات وادعائها وجدنا ميليشيات إيران تحتل المساجد في المناطق التي تسيطر عليها؛ فقد رَمَت ميلشيا حزب الله اللبناني مساجد في الزبداني وحولتها إلى مزارات تُنشر فيها صور قتلى الحزب الذين سقطوا في الزبداني، ويأتون بذويهم لزيارة المساجد المرممة، في حين يُمنع أهالي المدينة المدنيون من دخولها<sup>(86)</sup>. وهذا يُعيد إلى الأذهان صورة عناصر حزب الله حينما سيطروا على مدينة القصير ورفعوا راية "يا حسين" فوق مسجد "عمر بن الخطاب" فيها<sup>(87)</sup>. ونحو هذا ما يتم رفعه عند المقامات من رايات إيران وصور قادتها لتتأكد نظرة إيران لهذه المراقد والمقامات على أنها تابعة لها<sup>(88)</sup>؛ فالفرق بين إيران وأي دولة سنيّة أخرى أن إيران تمتلك "الحسينية"، في حين أن الدولة السنيّة لا تمتلك الجامع<sup>(89)</sup>، هذا فرق جوهري يجب أن نضعه نصب أعيننا ونحن نتابع التمدد الإيراني عبر الحسينيات<sup>(90)</sup>. فلا عجب أن الحسينيات لا تُسجل في وزارة أوقاف النظام ولا تتبع لها؛ وإنما تتبع لمرجعياتها الدينية – وهي إيرانية الأصل أو الهوى – ما يمنحها حرية مطلقة في نشاطاتها<sup>(91)</sup>، بعيداً عن التعليمات المشددة التي تخضع لها دورة العبادة السنيّة.

فلا سلطة للنظام السوري على المقامات والمراكز الشيعية التي تقيمها إيران؛ إذ قد يمنح النظام رسمياً السلطات الإيرانية الموافقة للاعتناء بها<sup>(92)</sup>، وقد تشتري إيران الأراضي في المناطق التي تريد فيها لنفسها موطئ قدم لنشاطات التشييع التبشيرية، فكانت تقوم أحياناً بشراء الأرض بمليون ليرة سورية للدونم الواحد، رغم أن سعره في السوق لا يزيد على الخمسين ألف ليرة!<sup>(93)</sup> ولا يفوت المسؤولين الإيرانيون زيارة هذه المقامات في سوريا لتأكيد تبعيتها لهم واهتمامهم بها على نحو خاص؛ حتى إن الرئيس الإيراني نجادي خلال زيارته لسوريا عام 2006 زار مشروع مقام السيدة

<sup>83</sup> يُنظر: المقامات الشيعية الرئيسة في سوريا، عمر إسكندر، مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2013/4/24. ومؤسسات النفوذ الإيراني والأساليب المتبعة في التشييع، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، أبريل 2018: ص 10.

<sup>84</sup> كأنها الضاحية، مرجع سابق.

<sup>85</sup> وكالة الأنباء القرآنية الدولية (Iqna) <https://iqna.ir/ar>، 2014/3/7، و2015/5/3.

<sup>86</sup> حزب الله يرمم مساجد الزبداني ويحولها إلى مزارات، المدن، 2019/1/6. <https://Oi.is/Xkdu>

<sup>87</sup> لماذا رفع حزب الله راية فوق مسجد القصير؟ الجزيرة نت، 2013/6/9. <https://Oi.is/btTn>

<sup>88</sup> الفارسية "الخمينية" واستراتيجية الاستيطان في سورية، فؤاد عزام، شبكة جيرون الإعلامية، سبتمبر 2016. <https://Oi.is/7NSN>

<sup>89</sup> بهذا المعنى، الحسينية تبقى من حيث الإدارة للمرجعية الشيعية في إيران، بخلاف المسجد، والذي وإن أسس بأموال وتبرعات خارجية، يلحق بمؤسسة الأوقاف التي تعد إحدى مؤسسات الدولة أو تكون مستقلة عنها بحسب النظام القانوني لكل دولة.

<sup>90</sup> يُنظر: كلية المذاهب الإسلامية بدمشق.. لماذا اليوم؟ أحمد مظهر سعدو، شبكة جيرون الإعلامية، مارس 2018. <https://Oi.is/yyOU>

<sup>91</sup> البعث الشيعي: ص 101.

<sup>92</sup> يُنظر: البعث الشيعي: ص 83.

<sup>93</sup> التشيع في سورية ليس خرافة: ص 63.

سُكينة المُختلَق في داريا!<sup>(94)</sup> ما يجعل هذه المقامات وما حولها - حقاً - كأنها قطعةً من إيران يتقاطر عليها الشيعة "أتباع إيران" للدفاع عنها وإن جهلوا حقيقة أمرها<sup>(95)</sup>، وهذا يفرض من جهة أخرى إشكالات قانونية مستقبلاً.

وقد بلغ الأمر بقائد فيلق القدس "قاسم سليمان" أن أعلن عن تأسيس وحدة عسكرية جديدة تحت اسم "لواء حراس المقامات"<sup>(96)</sup>؛ في تأكيد لأهمية المقامات الدينية لإيران وتبعتها لها.

ولعله من المثير للسخرية أن إيران قامت بالتنسيق مع منظمة اليونسكو بمشاريع إعمار بعض المقامات الدينية، نظراً لوجود أبنية تاريخية في المنطقة؛ وكأنه لا يوجد هناك شعب سوري وحكومة مسؤولة<sup>(97)</sup>؛ وحيث إن صلة إيران بتبديء بالمقامات التي تجعلها أقرب لما يُعرف في ثقافتنا بـ "مسمار جحا" في الدول التي تريد التغلغل فيها والعبث بهويتها؛ وجدناها تحرص عليه في مختلف الدول<sup>(98)</sup>.

إذاً هي حرب بلا هوادة لتشييع المكان والزمان، وتزييف التاريخ والجغرافيا السورية<sup>(99)</sup>، من خلال سياسة تمُدّد قبوري غير مسبوق؛ خدمةً للمشروع والهوس الإيراني لتغيير هوية بلاد الشام. تغييراً يستهدف التاريخ والجغرافية اللذين يعدان من عناصر الهوية السورية؛ فبالنسبة للتاريخ، تُدخل هذه المقامات عناصر أجنبية شيعية للإرث التاريخي الإسلامي السني، وبالنسبة للجغرافية، تصبح مناطق من الجغرافية السورية ولو كانت بمساحات صغيرة خاضعة بصورة أو بأخرى لإدارة دولة أجنبية، وهي إيران.

#### 4-2- الحوزات العلمية: بداية التغلغل الإيراني في التعليم:

وامتداداً لبناء الحسينيات والمقامات الدينية تحرص إيران على نشر الحوزات العلمية في سوريا؛ والحوزات: مراكز تعليم ديني على المذهب الشيعي<sup>(100)</sup>، فهي الأخرى مراكز لإنتاج حَمَلَة الفكر الإيراني أكثر منها لتخريج أناس مؤهلين علمياً، وكانت أول حوزة علمية افتُتحت للتعليم الديني عام 1976 على يد حسن مهدي الشيرازي الهارب من النظام

<sup>94</sup>- التشيع في سورية ليس خرافة: ص39.

<sup>95</sup>- يجهل كثير من الإيرانيين حقيقة الوضع في سورية، وإنما يتأثرون بما تصوّره لهم الحكومة الإيرانية، كما يذكر الباحث الأمريكي ريز إرليخ عن أحد الشيعة الذين قابلهم في طهران وسأله عن سبب دعمه لبشار الأسد، فأجابه الإيراني العامي: "أنا أَدْعَم الشيعة في كل العالم؛ بمن في ذلك القائد الشيعي بشار الأسد"، لكنه بدا في حيرة من أمره حين بيّنت له أن الأسد علوي وليس شيعياً يُنظر: داخل سورية: قصة الحرب الأهلية وما على العالم أن يتوقع، ريز إرليخ، ترجمة رامي طوقان، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2015: ص162.

<sup>96</sup>- ما الذي تخطط له إيران في دير الزور؟ معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، 2019/10 <https://cutt.us/1eKcl>

<sup>97</sup>- الإعمار الإيراني للمراقد الشيعية في سوريا والعراق، نبيل العتوم، مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2018/4/21 <https://cutt.us/u8iWA>

<sup>98</sup>- تُغري إيران دولة غير نفطية كالأردن بالنفط دون مقابل لمدة تصل إلى ثلاثين عاماً إن سمح لها بفتح باب زيارة ما تسمّيها "مقامات شيعية" في جنوب الأردن، لكنّ الحكومة الأردنية ترفض ذلك؛ إذ تدرك أنها خطوة لتمكين النفوذ الإيراني في الأردن، ولذا تمثّل أحد الخبراء الأردنيين في الشأن الإيراني - خلال بيان سبب رفض فتح باب الزيارات وبعث إيران للمقامات - بما حصل في سورية: "مقام السيدة زينب في سوريا لم يكن موجوداً قبل 30 عاماً، واليوم ترسل طهران ميليشياتها للقتال في سوريا تحت ذريعة حماية هذا المقام وغيره في سوريا والعراق.

ينظر: إيران تواصل استراتيجيتها الناعمة لاختراق الأردن .. وعمّان تتصدى بخشونة، إرم نيوز، 2016/9/19. <https://cutt.us/W8Luk>.

<sup>99</sup>- يُنظر: الإعمار الإيراني للمراقد الشيعية في سوريا والعراق، مرجع سابق.

<sup>100</sup>- يذكر الأستاذ فهد هويدي أن: الحوزة في اللغة العربية هي المكان أو الناحية التي إذا ما حُصّصت للدرس والتحصيل جاز أن تُسَمّى: حوزة علمية، وتبعاً للأصل اللغوي فإن الحوزة يمكن أن تخصص لمختلف أوجه النشاط الإنساني؛ إلا أن الكلمة ارتبطت في لغة الخطاب الشيعي بتلقي العلم، حتى بات مفهوماً تلقائياً أن الحوزة لا بد أن تكون علمية. يُنظر: إيران من الداخل: ص121.

بين 1995 – 2000 شهدت منطقة "السيدة زينب" تشييد عدد من الحوزات العلمية، فأقيمت أكثر من 5 حوزات علمية، ثم أنشئ ما بين 2001 – 2006 في قرية "السيدة زينب" وحدها أكثر من 12 حوزة شيعية وثلاث كليات للتعليم الديني الشيعي؛ أي: خلال ست سنوات فقط تم إنشاء ثلاثة أضعاف ما أنشئ خلال ربع قرن.

العراقي وقتها إلى دمشق<sup>(101)</sup>، واستمرت مع حوزة أخرى فقط حتى عام 1995. وبين 1995 – 2000 شهدت منطقة "السيدة زينب" تشييد عدد من الحوزات العلمية، فأقيمت أكثر من 5 حوزات علمية، ثم أنشئ ما بين 2001 – 2006 في قرية "السيدة زينب" وحدها أكثر من 12 حوزة شيعية وثلاث كليات للتعليم الديني الشيعي؛ أي: خلال ست سنوات فقط تم إنشاء ثلاثة أضعاف ما أنشئ خلال ربع قرن<sup>(102)</sup>!

ويعود التاريخ ليحضر من جديد في تأسيس الحوزات؛ فمؤسس أول حوزة علمية في سوريا حسن مهدي الشيرازي يعدّ تأسيس الحوزة في سوريا "جبراً للتاريخ الأموي والتاريخ الماضي، ولإحياء ذكرى أهل البيت عليهم السلام في عاصمة الأمويين أعداء أهل البيت" وفق تعبيره<sup>(103)</sup>؛ لذا لا غرابة بعد انسحاق النظام السوري في المشروع الإيراني أن تكون الحوزات الشيعية – كما مرّ في الحسينيات – غير مسجلة في وزارات الدولة المعنية، فهي تُنشأ بترخيص أمني وليس قانوني<sup>(104)</sup>، وحينما صدر مرسوم تنظيم التعليم عام 2006 وفيه تسوية أوضاع مؤسسات التعليم الدينية لم تجد الوزارات المعنية أية وثيقة رسمية عن الحوزات المرخصة وغير المرخصة، فحصلت على أسماء بعضها بطرق غير رسمية، وخاطبت وزارة الأوقاف للحوزات للاجتماع مع مديرية التعليم الشرعي؛ غير أنها تجاهلت الخطاب ولم يحضر منها أحد، فأعدت الوزارة تقريراً بحال الحوزات الشيعية وتمويلها الخارجي وجنسيات طلابها الأجانب دون أن يجرؤ أحد على مخاطبة القيادة القطرية<sup>(105)</sup> به<sup>(106)</sup>!

وتكشفت بعض أهداف نشر الحوزات الشيعية في الخطة التي وضعها رجل إيران السوري النافذ اللواء هشام بختيار؛ فإنها ارتكزت على محورين أحدهما: إضعاف التعليم الشرعي السني، والآخر: تقوية المؤسسات التعليمية الشيعية، ومن خطواتها: منح الشيعة 10 ثانويات شرعية تعترف بها وزارة التربية<sup>(107)</sup>.

واستمرت السلطات في تقوية الحوزات وإضعاف التعليم الشرعي السني بعد هذا بإصدار قانون التعليم الجديد للعام الدراسي 2006-2007 لتجفيف منابع التعليم الديني؛ مع استثناء الحوزات الشيعية، فأصدر علماء الشام بياناً لأول مرة يخاطبون رئاسة الجمهورية بشكل مباشر، ويرفضون القانون واستثناء الحوزات؛ ما اضطر السلطات للتراجع عن القانون<sup>(108)</sup>.

<sup>101</sup>- البعث الشيعي: ص 34.

<sup>102</sup>- البعث الشيعي: ص 126.

<sup>103</sup>- البعث الشيعي: ص 35.

<sup>104</sup>- البعث الشيعي: ص 77، ومحددات الوجود الإيراني: ص 16.

<sup>105</sup> هي الجهاز الحزبي الأعلى في سوريا، والذي يتولى شؤون حزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا، وكان مناطاً به ترشيح رئيس الجمهورية في سوريا بموجب المادة 84/ من دستور 1973.

<sup>106</sup>- البعث الشيعي: ص 128-137.

<sup>107</sup>- تُنظر تفاصيل الخطة في: البعث الشيعي: ص 156.

<sup>108</sup>- تحذير البرية: ص 27. ولتفاصيل بيان علماء الشام يُنظر: البعث الشيعي: ص 138.

ومما كان في خطة بختيار أنه عيّن "عبد الله نظام" حامل مشروع التشييع في سوريا مستشاراً للشؤون الدينية في وزارة الأوقاف، وأوكل إليه مهمة تنقية مناهج الثانويات الشرعية السنيّة من الأمور التي لا يرضى عنها الشيعة<sup>(109)</sup>، في مقابل مناهج إيرانية شيعية خالصة للحوزات وكليات التعليم الديني الشيعية<sup>(110)</sup>، مع توزيع مساعدات نقدية وعينية على الطلاب، كما صار يحصل في الثانويات الشرعية التي افتتحها رامي مخلوف في مناطق الساحل تحت إشراف حوزة اللاذقية المعروفة باسم مجمّع الرسول الأعظم<sup>(111)</sup>، ما يجعل الكثيرين يلتحقون بها تحت وطأة الظروف الاقتصادية القاسية.

وفي بيان خطورة الحوزات في التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا نقف عند بعض المؤشرات؛ فالمرجع الشيعي محمد وحيد يقول: "توجد في سوريا حوالي 20 حوزة علمية، ونحن نرسل المدرّسين الذين تخرجوا في جامعة المصطفى إلى التدريس في هذه الحوزات. إن هذه الحوزة تأسست منذ حوالي 30 سنة ويدرس فيها طلاب من حوالي 40 جنسية"<sup>(112)</sup>؛ وتعدّد جنسيات طلاب الحوزات ومدّرسيها أمر ظاهر؛ فهي تُقام بدعم إيراني وخليجي مادياً، ومعنوياً تُدعم بالكوادر من جنسيات مختلفة (معظمها عراقية وإيرانية وبعضها لبنانية)، وهؤلاء كانوا إدارات الحوزات والمدرّسين فيها ولم يكن فيهم حتى نهاية التسعينيات سوري واحد<sup>(113)</sup>! وهذا يؤكد تبعية هذه الحوزات وخدمتها المشروع الإيراني.

ومع المغريات المقدّمة للطلاب من إيران، وتعدّد جنسياتهم، والإدارة الإيرانية المباشرة لهذه الحوزات؛ فإن المخرجات منها سفراء دعاة باسم إيران لنشر التشييع، وإن لزم الأمر للانخراط في الميليشيات العسكرية والقتال باسمها؛ لاسيما وأكثرهم من طبقات فقيرة وجدوا في هذه الحوزات والمراكز الدعم لهم ولعوائلهم<sup>(114)</sup>، مع حقد طائفي لا يقلّ عما هو عند ميليشياتها الطائفية؛ فبالنظر في مقررات الحوزات الإيرانية الطافحة بأحقاد شعوبية تاريخية<sup>(115)</sup> فإنها لا تخلق من الطالب أكثر من جندي محارب ورجل أمن ومخابرات؛ فالجهاز التعليمي - التربوي الإيراني بجميع مراحل ومستوياته يعتبر أحد الأجهزة المهمة التي تعمل على ترسيخ قيم المؤسسة العسكرية والمؤسسة الأمنية، حيث إن أهداف المؤسسة التربوية التعليمية لا تنفصل عن أهداف الجهازين الآخرين<sup>(116)</sup>.

ومع النظام التعليمي والتأهيلي الخاص الذي تلتزمه الحوزات الإيرانية، والهالة القدسية التي تُحاط بها كونها تخرّج المرجعيات الدينية فإنها - كما وصفها الأستاذ فهبي هويدي<sup>(117)</sup> - تمثّل دولاً داخل الدولة؛ إذ لا سلطان عليها من أي باب، بل إن المرجعيات في الحوزات تفوق أحياناً الدولة في أن أتباعهم الذين يدينون لهم بالولاء يتجاوزون حدود الدولة، وينتشرون في العديد من الدول الأخرى؛ لتتأكد المخاوف أكثر مما تمثّله الحوزات الدينية التي تعمل إيران على

<sup>109</sup>- البعث الشيعي: ص158.

<sup>110</sup>- تحذير البرية: ص67.

<sup>111</sup>- مجمّع الرسول الأعظم وثانويات رامي مخلوف الشرعية، عين المدينة، 2016/11/30. <https://Oi.is/Ap8d>.

<sup>112</sup>- محددات الوجود الإيراني: ص16.

<sup>113</sup>- البعث الشيعي: ص82.

<sup>114</sup>- يُنظر: من داخل إحدى مؤسسات إيران لنشر التشييع بدمشق .. هكذا تطبق طهران أخطر مشاريعها في سوريا، السورية نت، 2017/2/7.

<sup>115</sup>- يُنظر: الشعوبية في مناهج الحوزة الدينية وأدبيات القيادة الإيرانية، صباح الموسوي: ص52.

<sup>116</sup>- يُنظر: عسكرة التعليم المدرسي في إيران دراسة استقصائية ملخصة، نبيل العتوم، إصدارات مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية، دار عمار،

الأردن، 2017: ص77 وص164.

<sup>117</sup>- إيران من الداخل: ص126.



نشرها في سوريا من الخطر على هوية سوريا وأمنها، مع تحطيم المرجعيات السنّية والعلوية معاً كما سبق؛ فلا يكون في الساحة الدينية إلا المرجعيات التي تفرزها هذه الحوزات الإيرانية.

ونفهم كذلك حرص إيران على كثرة الابتعاث إلى حوزاتها الدينية، لاسيما قم؛ وتجاوز الحوزة الشيعية الأولى في النجف، فهذا مما يحقق لها مزيداً من ربط الشيعة في مختلف الدول بالمرجعيات الإيرانية والولاء لها.



## الخاتمة:

تبين من خلال هذا الإصدار أن مفهوم القوة الناعمة لدى إيران له خصوصيته في المنطقة العربية بشكل عام، وفي سوريا بشكل خاص، حيث أن أدوات القوة الناعمة تقف عاجزة عن تسويق النموذج الإيراني، فتسعى إيران لدعمها بالقوة الخشنة عبر ميليشياتها الطائفية العابرة للحدود، والتي يكون لها اليد الطولى في ترسيخ النفوذ الإيراني سياسياً وعسكرياً، في حين يقتصر دور الأدوات الناعمة على تقوية هذا النفوذ ومحاولة إيجاد حاضنة شعبية -ولو صغيرة- مؤيدة له.

استعرضت الدراسة الأدوات الدينية التي تستخدمها إيران لمد نفوذها داخل النسيج الثقافي السوري. والتي كان على رأسها نشر التشيع، حيث اتضح أن خطورة هذه الوسيلة متمثلة في نشر التشيع وفق مبدأ ولي الفقيه الذي هو جزء من هوية إيران الثقافية؛ لأنه يخلق لدى المؤمنين بولاية الولي الفقيه ازدواجية في الهوية ما بين دولهم التي ينتمون إليها وإيران حيث مرجعيتهم المذهبية العليا، ما يجعل المواطنين الشيعة في مختلف البلدان مرتبطين بالقيادة الإيرانية على حساب ارتباطهم ببلدهم.

كما كان من ضمن الأدوات الدينية التي بحثها هذا الإصدار قضية "الحجاج والزوار"، التي عكفت إيران في الآونة الأخيرة على زيادة أعدادهم القاصدة لسوريا، وتعد هذه المواكب واللطميات وسيلة إيرانية لنشر ثقافتها ونموذجها الشيعي في سوريا، من جهة، ووسيلة لزيادة الشروخ والأحقاد الطائفية بين المتشيعين وأهل السنة في سوريا، نظراً لما يتخلل هذه المواكب من سب وشتم لبعض الصحابة رضوان الله عليهم، والذين يشكلون رموزاً لأهل السنة، من جهة ثانية.

إلى جانب كل ذلك، اتضح أن احتلال المقامات الدينية من قبل إيران، مثل ذريعة تمسكت بها إيران للتدخل في الشؤون الداخلية السورية، وأن التزييف الإيراني للتاريخ والجغرافية السوريتين اللتين تعدان من عناصر الهوية السورية؛ يمثل خطراً وجودياً لهذه العناصر الهوياتية.

وبخصوص الحوزات العلمية، استنتج الإصدار أنها مثلت دولاً داخل الدولة؛ إذ لا سلطان عليها من أي باب، بل إن المرجعيات في الحوزات فاقت أحياناً الدولة في أن أتباعها الذين يدينون لها بالولاء يتجاوزون حدود الدولة، وبالتالي قد يكون للحوزات الدينية التي تعمل إيران على نشرها في سوريا أخطاراً كبيرة من جهة تحطيم المرجعيات السنّية والعلوية معاً؛ واستفراد المرجعيات التي تفرزها هذه الحوزات الإيرانية بالساحة الدينية السورية.

بذلك نكون أنهيينا استعراض الأدوات الدينية التي تستخدمها إيران للتغلغل الثقافي في سوريا، لنستعرض في الإصدار الثاني -بعون الله- الأدوات التعليمية والثقافية، إلى جانب المدنية والاجتماعية.